رمز دمشقي في ذكرياته

بقلم: نزار نسيب القبّاني

عندما يكتب بدر الدين الشلاح .. وهو أحد رموز دمشق العريقة (بارك الله لنا في حياته) ذكريات عن الماضي .. لحقبة زمنية عاشها تقترب من القرن الا قليلا ، ليحدثنا عن تجاربه ومشاهداته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وتكون نابعة من القلب ، صادقة في عواطفها ، أمينة في أحداثها ، فإذا قرأت مافيها تشعر كأن كاتبها يقص عليك ماكتب شفاهة ، فقد كتب في لغة محببة ، صادرة عن نفس مرهفة شفافة ، تنقل لك الأحداث بأمانة المؤرخ .

لم يقصد في كتابته الحديث عن نفسه بل يرمي الى استخلاص العبر من هذه التجارب والأحداث وليصور لنا التطور الكبير للحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدينة دمشق خلال هذه الفترة الزمنية .

ولقد قدم لهذه الذكريات ولده الأستاذ الدكتور راتب الشلاح ، والصحافي المرحوم عدنان الشحرور والأستاذ الدكتور محمد العمادي والأستاذ المحامي خالد المالكي والدكتور أمين الميداني والأستاذ الدكتور عزيز شكري والمهندس خليل الفرا والأستاذ المحامي نجاة قصاب حسن.

وأول ما تستخلصه من قراءة هذه الذكريات عصاميته وبره لوالديه وحبه لوطنه وايمانه بالعلم وترى هذا في كل سطر من سطور هذه الذكريات حتى خلال رسائله لأقربائه .

ان الحديث عن أحداث هذه الذكريات سيضطرك الى التحدث عن هذا الرجل الكبير ، الكبير في كل شيء فترى فيه عنفوان الرجولة وصدق العزيمة ، والتفاؤل بالمستقبل ، والايمان اللامحدود بربه ووطنه ولم يكن هذا الايمان يشمل العاطفة فحسب بل قرنه بالعمل .. فكانت أعماله الخيرية التي لا عد لها ، فالأطفال الأيتام في دمشق الشام (الاسعاف الخيري) وعزابها من الشباب من دعى لهم بإقامة جمعية تساعدهم في مهورهم وسكناهم في أنبل مشروع انساني اجتماعي ، والجمعيات الخيرية على اختلافها (مكافحة السرطان - والسل - وتعاليم العلوم الشرعية وسواها) ومآذن دمشق الشاهقة تشهد له بذلك .

لتكون كما يقول (القنديل المضيء له ولتكون طريقه تقربه الى الله).

وتراه دائما حامدا لله وشاكرا له على نعمه والتي من أهمها (السكنى بالشام) لأنها روضة من رياض الجنة .

وعشقه للشام .. ابدي .. يعبر عنه في الوردة الدمشقية الحمراء التي تزين صدره فترى بها تلازم رائحة أريج الشام مع أنفاسه وخفقات قلبه .

أما الأرض .. فقد آمن بها ايمانه بربه ، فعمل على إصلاحها ثم زرعها وعمل على تطويرها حتى باتت غوطة غناء .. واتخذ من مبدأ الاكتفاء الذاتي الوطني في الزراعة والصناعة منهجه الاقتصادي لايمانه بالقول المشهور " لابورك في أمة لا تأكل مما تزرع ولا تلبس مما تصنع " .

أما مساهمته في الحياة الاقتصادية لهذا القطر ، فيكفيه أنه رئيس غرفة تجارة دمشق لأكثر من ربع قرن ورئيسا لاتحاد غرف التجارة السورية .

فقد عاش أحداث تطور الاقتصاد الوطني وساهم في هذا التطور ، واذا كان للشام أن تفخر برمز من رموزها ساهم في تطوير اقتصادها وحياتها الاجتماعية ومشاريعها الخيرية فانها تفخر بالحاج بدر الدين الشلاح واذا كان للشام أن تعبر وفاء منها لما قدم لها فليس لها سوى أن تضع الوردة الدمشقية على صدره تحمل قبلة الدمشقيين ومحبتهم وليس لهم سوى ان يقولوا أحسن الله اليك كما أحسنت لشامهم .

لقد آن الأوان أن نكرم الرجال المخلصين العاملين من أمثاله في حياتهم ، بارك الله به ومد في حياته الغالية .

علها تذكرة لجمعية أصدقاء دمشق وغرفة تجارتها .